



مقاصد الشريعة

الفصل الدراسي الثالث

معالي الشيخ / د. سعد بن ناصر الشثري

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

مقصد الترابط الاجتماعي.

- فقد جاءت الشريعة بالأمر بجعل الناس يترابطون ويتواصلون، ويكون بينهم تعارفٌ وتعاونٌ، كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].
- وقد ورد في الأحاديث ما يؤكد على هذا المعنى، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه»، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».
- والترابط الاجتماعي له أوجهٌ متعددةٌ، سواءً كان منها ما يكون فيه تناولٌ للأمور المالية، بحيث يتفقد الناس بعضهم بعضًا فيما يتعلق بأحوالهم المالية، ويقوم الغني مع الفقير، كما في واجب الزكاة، فإن واجب الزكاة يحقق هذا المعنى، وإن كان فيه تحقيق معي اجتماعيًا ومعنى نفسيًا، لكن الجانب المالي أظهر فيه، وقد جاءت النصوص بالتأكيد على هذا المظهر من مظاهر الترابط الاجتماعي، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43]، وكما في قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3].
- وكما في النصوص التي وردت بالتحذير من الامتناع من دفع الزكاة، كما في قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا بِنَاهُهُمْ وَجُتُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34، 35].
- وهناك من أنواع التكافل الاجتماعي ما يتعلق بالأمور النفسية، بحيث يلاحظ الناس بعضهم بعضًا في نفسياتهم، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يتناحى اثنان دون الثالث»، من أجل أن ذلك يحزنه.
- وهكذا من أنواع التكافل، التكافل الاجتماعي، بحيث يلاحظ الناس بعضهم بعضًا، فمثلًا في صلة الرحم، أو في بر الوالدين، أو التعامل مع الجيران، كل هذه فيها نواح اجتماعية، تؤدي إلى الترابط الاجتماعي.
- ووسائل الترابط الاجتماعي كثيرةٌ متعددةٌ، ولم يأت في الشرع تخصيصٌ لبعضها دون بعضٍ، بل فتحت الباب في ذلك، فكل وسيلة تحقق هذا المعنى فإنها تدخل في النصوص الشرعية الواردة في هذا الباب.
- مثلًا في زمننا الحاضر وجدت وسائل جديدة للتواصل، سواءً كان بالهاتف، أو كان بوسائل التواصل الاجتماعي، أو غيرها من أنواع التواصل الجديدة الحديثة، فمثل هذه تدخل في النصوص الواردة في تحقيق هذا المقصد العظيم من مقاصد الشريعة.

- هذا المقصد جاءت الشريعة فيه بوسائل كثيرة تؤدي إليه، وتجعل الناس يترابطون، ويتعاونون، ويكونون يدًا واحدة.

◀ نماذج مما جاءت الشريعة بالأمر به مما يؤدي إلى تحقيق هذا المقصد العظيم.

- (١) الزكاة، ولا شك أنها تؤدي إلى التكافل الاجتماعي، والترابط المجتمعي، وهكذا هناك صدقة تطوع جاءت النصوص بالترغيب فيها، والحث عليها، وبيان أن العبد يؤجر بالأجر العظيم في هذه الصدقات ، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: 261]، فهذا فيه إشارة أو حث على صدقات التطوع.
- (٢) هكذا في نفقات الأقارب التي جاءت الشريعة بالأمر بها، تجعل الناس يترابطون، ويلتفتون، ويتعاونون، كما في قول الله عز وجل : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 233]، فهذه الآية وردت في نفقات الأقارب. ومثله ما ورد في حديث هند لما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن زوجها الذي لا يعطيها النفقة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف».
- (٣) ومن الأمور التي جاءت بها الشريعة أيضًا إغاثة الملهوف، إذا كان هناك ملهوف يحتاج إلى من يعينه ويساعده ويقوم معه، خصوصًا من وجد عليه ديونٌ عسيرة، أو من وجد عليه ظروفٌ متراكمة، فمثل هذا جاءت الشريعة بالوقوف معه، والحث على أن نكون يدًا واحدة في جعله يتغلب على ما يمر به. وأولى الناس بهذا قرابة الإنسان، ولهذا ورد في النصوص الترغيب في صلة الرحم، وترتيب الأجور العظيمة عليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع»، تحذيرًا من قطيعة الرحم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أجله، فليصل رحمه».
- (٤) ومن الأمور المتعلقة ومن الوسائل التي جاءت بها شريعتها في هذا الباب ما أمرت به من إكرام الضيف، فإن إكرام الضيف سبيل لجعل الناس يترابطون ويتواصلون، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».
- (٥) حفظ اللسان من أن يتكلم في معائب الآخرين، وأن يذكر ما لديهم من النواقص.
- (٦) من الوسائل التي جاءت بها الشريعة كفالة اليتيم، فإن اليتيم يحتاج إلى من يكفله، فإذا وجد في المجتمع من يكفل هؤلاء الأيتام، كل واحدٍ من أفراد المجتمع يكفل يتيماً، حينئذٍ يؤدي إلى تحقيق ترابط اجتماعي في المجتمع المسلم، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه صلى الله عليه وسلم».
- (٧) وكذلك من الوسائل التي تحقق الترابط الاجتماعي ما جاءت به الشريعة من مشروعية الاجتماع على فعل الطاعات، فهذه صلاة الجماعة يشرع الاجتماع لها، وصلاة الجماعة فيها أجرٌ عظيم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلاة الرجل مع الجماعة تفضل صلاته وحده بسبع وعشرين درجة».
- (٨) هكذا مما جاءت به الشريعة إجابة دعوات من يدعوا إلى وليمة أو حفل أو نحوه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يجب الوليمة أو من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله».

ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حقوق المسلم على المسلم، قال فيها: «**وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**».

(٩) ومثل هذا أيضاً ما ورد من مشروعية السلام، فإن تسليم الناس بعضهم على بعض يؤدي إلى ترابطهم وتلاحمهم واجتماعهم وتآلف بعضهم مع بعضهم الآخر.

(١٠) فيما يتعلق برد السلام، فإنه يحقق هذا المعنى، ولذا قال الله عز وجل: «**وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**» [النساء: 86]، مما يدل على أن هذا مقصد من مقاصد الشريعة.

(١١) في الابتداء بالسلام، فلا شك أن الابتداء بالسلام يحقق ترابط الناس واجتماعهم وتآلفهم، فيحقق هذا المقصد الشرعي.

(١٢) كذلك مما يحقق الترابط الاجتماعي السمع والطاعة لأصحاب الولاية، فإن الناس متى سمعوا لهم صلحت أحوالهم وترابطوا، أما إذا وجد من يناكف الولاة، ويعصمهم، ويؤلب الخلق عليهم، فإن هذا يؤدي إلى تنافر الناس، وعدم اجتماع كلمتهم، وبالتالي يؤدي إلى تسلط الأعداء على الأمة.

(١٣) ومن الوسائل الشرعية التي تحقق هذا المعنى الترابط الاجتماعي، معالجة المشكلات التي تحصل بين أفراد المجتمع، سواء كان على مستوى القرابة، أو كان على مستوى الزوجين، أو كان على مستوى الجيران، أو الزملاء أو غير ذلك.

(١٤) إصلاح ذات البين، وقد قال الله تعالى: «**وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**» [الأنفال: 1]، وقال الله عز وجل: «**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**» [النساء: 128]، وقال عز وجل: «**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**» [النساء: 114].

(١٥) ومما جاءت به الشريعة لتحقيق الترابط الاجتماعي، أنها أمرت المؤمنين بالرفق في التعامل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نَزَعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**».

(١٦) ومما جاءت به الشريعة مما يحقق هذا المعنى، سماحة الناس فيما بينهم، فإن هذا يؤدي إلى ترابطهم، وهكذا أيضاً في العفو عن خطأ المخطئ، والتجاوز عنه، إذا عفوت عن خطأ المخطئ كان هذا من أسباب تآلف القلوب، وبالتالي يؤدي إلى ترابط أفراد المجتمع.

ولذا أمرت النصوص بالعفو والتجاوز كما قال تعالى في ذكر الجنة: «**أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**» [آل عمران: 133، 134].

(١٧) ينفقون بالليل والنهار هذا يحقق الترابط الاجتماعي، والعافين عن الناس، والكاظمين الغيظ، كظم الغيظ أيضاً من أسباب اجتماع الناس وترابطهم، وهكذا الإحسان إلى الآخرين.

(١٨) ومن الأمور التي تؤدي إلى تحقيق هذا المقصد، ما جعلته الشريعة من الترغيب في وجود قضاء عادل في الأمة الإسلامية، فإن القضاء يفصل بين المتخاصمين، ويزيل ما بينهم من نزاع متى كانوا يسعون في تحقيق حق، وتحكيم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

(١٩) في ما يتعلق بمشروعية الحب في الله عز وجل، فإن الناس متى تحابوا لله وفي الله، فحينئذ يترابطون، ويجتمعون، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**سَبْعَةٌ يَظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»، وذكر منهم: «رجلين تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه».

٢٠) فيما يتعلق بمشروعية الاجتماع على الخير، ومن ذلك مثلاً الاجتماع في طلب العلم، فإن هذا يؤدي إلى تلاحم الناس وتربطهم، وهكذا أيضاً في الزيارات الإيمانية الأخوية التي تكون بين المسلمين، فإن هذا يؤدي إلى تربطهم واجتماع كلمتهم.

ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«قال الله عز وجل: وجبت محبتي للمتحابين في، وجبت محبتي للمتزاورين في».**

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من زار أخاً له في الله أعد له في مدرجته ملكاً يسأله لم زرت؟ فإذا قال زرتك لله، قال: أنا رسولٌ من عند الله يخبرك بأنه يحبك، كما ورد في الخبر.

٢١) هناك نصوص كثيرة تدل على بعض الأخلاق الفاضلة التي متى وجدت في الناس تربطوا واجتمعوا وتآلفوا، فإذا مثلاً وجد الخلق الفاضل فيما بين الناس حينئذٍ يحب الناس بعضهم بعضاً، ويتآلفون، مثلاً في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«وتبسمك في وجه أخيك صدقة»**، هذا التبسم يؤدي إلى الاجتماع ويؤدي إلى محبة الناس بعضهم إلى بعض، وإلى الترابط الاجتماعي، فهو يحقق مقصد من مقاصد الشريعة.

٢٢) في حسن التعامل، في كيفية اختيار الألفاظ المناسبة التي تتناسب مع من يتكلم معه، تتناسب مع مقامه، فإنه يؤدي إلى ترابط الناس؛ لأن الشيطان إذا وجدت كلمات سيئة أغرت صدور بسببها، كما قال تعالى: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾** [الإسراء: 53].

٢٣) ومن الأمور التي أمر بها الشرع الإحسان إلى الجميع، حتى الإحسان إلى الخادم، الذي يكون عند الإنسان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل إلا ما يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم».**

٢٤) من المعاني العظيمة التي تؤدي إلى الترابط احترام العلاقات الأسرية، مثلاً بر الوالد هذا يؤدي إلى تلاحم الناس واجتماعهم، وقد جاءت النصوص بالأمر بالإحسان إلى الوالدين، كما في قوله تعالى: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** [الإسراء: 23، 24].

٢٥) في صلة الرحم فإنها تؤدي إلى ترابط الناس، خصوصاً القرابة، ومن ذلك تعلم الأنساب، تعلم أوجه القرابة.

٢٦) كذلك مما جاءت به الشريعة مما يؤدي إلى تحصيل هذا المقصد الترابط الاجتماعي ما أمرت به الشريعة من إكرام الجار، والقيام معه، والتقرب لله عز وجل بالإحسان إليه، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».**

٢٧) هكذا زملاؤك في العمل، لهم حق عليك، وبالتالي جاءت الشريعة بالأمر بإحسان التعامل معهم، من أجل

تحقيق مقصد الترابط الاجتماعي، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«خير الأصحاب خيرهم لصاحبه».**

٢٨) وهكذا أيضاً ما ورد في النصوص من مشروعية التعاون على البر والتقوى فإنه يؤدي إلى الترابط الاجتماعي.

٢٩) فيما يتعلق بالتعاون أيًا كان هذا التعاون، متى كان مثمراً نافعاً فإنه يؤدي إلى تحقيق مقصد الشريعة من وجود الترابط الاجتماعي.

- (٣٠) في حسن العشرة بين الزوجين، تقوم الزوجة بحقوق الزوج ولا تكتفي بذلك حتى تُحسن في التعامل معه، وهكذا بالنسبة للزوج، وقد قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِمْنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228]، وقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].
- (٣١) من الأسباب المؤدية إلى تحقيق هذا المقصد الشرعي من الترابط الاجتماعي ما جاءت به الشريعة من مشروعية الهدايا، والترغيب في قبول الهدية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تهادوا تحابوا».
- (٣٢) ومما جاءت به الشريعة أيضًا الحرص على ألا يكون الإنسان وحده، سواءً كان في سفرٍ، أو في جلوسٍ، فإن الوحدة تجعل الإنسان ينغزل عن مجتمعه، وبالتالي لا يتمكن من تحقيق مقصد الشريعة في الترابط الاجتماعي.
- ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الراكب شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ»، وما ذاك إلا لترغيبه في جعل الناس يجتمعون ويكونون عند قيامهم بأي عملٍ جماعةً يتفقد بعضهم بعضهم الآخر.
- (٣٣) ما جاءت به الشريعة من الصدق في التعامل في المقال وفي الفعل، فإنك إذا وجدت رجلًا صادق القول والفعل، فحينئذٍ ترتاح معه، وتحصر على الترابط معه، بخلاف ما إذا وجدت من يقابله.
- (٣٤) مما جاءت به الشريعة: أن رغبت في حسن الهندام، وفي جمال بدن الإنسان، وفي طهارته، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما حذّر من الكبر، وقال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبرٍ»، قالوا: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»، ما معنى «بطر الحق»؟ أي جحده، وعدم الاعتراف به، «وغمط الناس» أي استنقاص مكانتهم، وعدم تنزيلهم المكانة اللائقة بهم.
- (٣٥) كذلك في النهي عن الممارسات المحرمة، التي جاءت الشريعة بالنهي عنها، ما يؤدي إلى تحقيق المقصد الشرعي من وجود الترابط الاجتماعي، فمثلاً لما منعت الشريعة من الرشوة، سيؤدي هذا إلى وجود قضاءٍ عادلٍ، وبالتالي يأمن الناس ويستقروا، ويكون هذا من أسباب عدم حمل بعض أفراد المجتمع على بعضهم الآخر.
- (٣٦) وهكذا مما جاءت به الشريعة: أن يحرص الإنسان على شكر المحسن، من أحسن إليك فاشكره مهما بلغ، لأنك متى وُجد شكرٌ للمحسن، فسيواصل في إحسانه، وسيتفقد الناس بعضهم بعضًا، وسيترابطون فيما بينهم، ولذلك فلا بد من ملاحظة هذا الأمر، من أحسن إلى غيره، فإنه يُشكر، ويُثنى عليه، ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من لم يشكر الناس، لم يشكر الله»، كما رواه أبو داود في سننه.
- (٣٧) من الأمور التي تؤدي إلى الترابط الاجتماعي: أن يكون هناك صبرٌ يتخلق به كل واحدٍ من الناس، لا يوجد أحدٌ من الخلق كاملٌ ومعصومٌ من الخطأ، إلا من عصمه الله -عزَّ وجلَّ-، وبالتالي إذا قدرت هذا الأمر، وعلمت أن من يقابلك، لابد أن يخطئ، فحينئذٍ تتجاوز عن خطئه، بل قد يؤدي بك ذلك إلى الإحسان إليه؛ لأنك صبرت على ما كان منه، والصبر سلاحٌ عظيمٌ، وثوابٌ جليلٌ.
- (٣٨) من أسباب الترابط الاجتماعي: أن يكون هناك إحسانٌ للظن، لا تسيء الظن بي، ولا أسيء الظن بك إلا بسببٍ، ومجرد بعض الناس بمجرد أن يعرف غيره على طول يغلب جانب سوء الظن، وهذا مخالفٌ لما ورد في النصوص، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[الحجرات: 12]، ونهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن اتباع الظن في مواطن، وبالتالي قال: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»**، بالتالي على الإنسان أن يحسن ظنه بإخوانه، يعني أنا أذكر في هذا، قصة صفية مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، كان معتكفاً في المسجد، فجاء أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- إليه في معتكفه، فتحدث معهن، وكانت بيوت النساء على المسجد إلا صفية، فإن بيتها لم يكن على المسجد، فلما أرادت أن ترجع إلى بيتها، قام ليقلمها، يذهب معها من أجل أن تأمن في الطريق ونحوه، فرأى رجلان من الأنصار النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعه هذه المرأة، فجريا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«على رسلكما، إنها صفية»**، من أجل أن لا يكون عندهم ظنون سيئة، فبالتالي يكون هذا من أسباب سوء العلاقة بين أفراد المجتمع، متى أحسن الناس ظنونهم بعضهم في بعض، فإن هذا يؤدي إلى صلاح الأحوال، إلا إذا وجدت قرائن تدل على خلاف هذا.

(٣٩) مما وردت به الشريعة مما يحقق معنى الترابط الاجتماعي: زيارة المرضى، فإن زائر المريض لا يزال في خرفة الجنة حتى يرجع، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبالتالي فإن زيارة المريض لها أثر عظيم، سواء في نفسية المريض، أو في نفسية من حوله من قرابة أو ذرية أو نحو ذلك.

(٤٠) من أسباب الترابط الاجتماعي: وجود أخلاق فاضلة، فإن الأخلاق الفاضلة تدعو الناس إلى أن يتعامل بعضهم مع بعضهم الآخر، ولذا رغبت النصوص في الأخلاق الفاضلة.

(٤١) ما يتعلق بصديق الوالد، جاءت الشريعة بالتأكيد عليه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«إن من أبر البر صلة الرجل ود أهل أبيه»** ، وبالتالي فإن زيارة هؤلاء الأصدقاء للأب أو للوالدة قرابة من القربات التي يزداد أجرها في ما لو زار الإنسان غير من لم يكن كذلك.

(٤٢) مما جاءت به الشريعة أيضاً: الترغيب في رحمة الصغير، فإن رحمة الصغير مؤدية إلى ترابط الناس، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا مكانه أو حقه»** ، فهنا أمر في الصغير بالرحمة **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا»** ، بينما الكبير أمر فيه بالتوقير **«ويوقر كبيرنا»** ، ومن ثم فملاحظة من له مكانة أو منزلة أو أثر، وبذل سبل للدعوة معه، يفضلها كثير من أصحاب الفضل، وإن كان عند المقاربة لابد أن يكون هناك عناصر تؤيد أحد الأمرين على الآخر.

(٤٣) مما وردت به الشريعة ليحقق هذا المقصد: أن يستر المؤمنون بعضهم بعضهم الآخر.

(٤٤) ما يتعلق بالذب عن عرض المسلم، من جاء وبدأ يتحدث معك، وكان هذا فيه تجريح بفلان وفلان، يجب عليك أن تنتهي عن هذا الفعل، ولا يجوز لك أن تقر من يتكلم بمثل هذا الكلام، سواء كان فيه حقيقة عيب فيه حقيقة، أو كان أمراً ماضياً، أو أمراً متوهماً، كلها، ما يجوز أن تتكلم فيه، ولذا جاءت النصوص بالتحذير من الغيبة، قال الله -عز وجل-: **﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** [الحجرات: 12]، وبالتالي نستشعر أن الغيبة من المحرمات، وما ذاك إلا للمحافظة على هذا المقصد العظيم، ألا وهو: الترابط الاجتماعي.

(٤٥) مما يحقق الترابط الاجتماعي: أن يتفقد الناس بعضهم بعضاً في أمور حياتهم، فهذا يؤدي إلى جعل الناس يترابطون، وما مشروعية الأمر بالمعروف، ومشروعية عبادة النصيحة إلا مما يحقق هذا المعنى.

(٤٧) كذلك صنائع المعروف، التي تقي ميتة السوء، هذه لها أثرٌ عظيمٌ في وجود الترابط الاجتماعي، ولا تظن أن صنيعة المعروف فقط بدفع المال، قد تكون صنيعة المعروف بالكلمة الطيبة، وبالتشجيع، ترى شخصًا يحتاج إلى تشجيع ليتفوق، فتشجعه، فيكون هذا من أسباب رفع درجته ومكانته.

وفي مقابل هذا، هناك مثلاً خلق الغضب، فإن الإنسان متى تخلق بخلق الغضب، يتكلم في مراتٍ بما لا يعرف عاقبته، وما يتوّل إليه، وإن كان يعرف معناه، ولذلك كم من غضبٍ أدى إلى فرقةٍ بين الزوجين، وقطيعةٍ بين الأقارب، وأمورٍ عظيمةٍ، وبالتالي فوجود معانٍ تدفع الإنسان إلى أن يترك الغضب، يكون هذا محققاً للمقصد الشرعي، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم: **«لا تغضب، لا تغضب»**، قال الرجل: يا رسول الله، أوصني، قال: **«لا تغضب»**، قال: أوصني، قال: **«لا تغضب»**، قال في الثالثة: أوصني، قال: **«لا تغضب»**، والمعنى في هذا: أي لا تعرض نفسك إلى المواطن التي تغضب فيها، وإذا غضبت فأمسك نفسك، ووقد نفسك على تحمل الأمور، هذا معنى قوله -صلى الله عليه وسلم: **«لا تغضب»**، فهذا المعنى لأبد من ملاحظته، ومعرفة أن ترك الغضب مما يؤدي إلى تحقيق المقصد الشرعي في الترابط الاجتماعي، كم من حوادث قتلٍ بسبب الغضب، كم من حوادث مخاصماتٍ ومضارباتٍ بسبب الغضب، إلى غير ذلك من المعاني.

٥٠) من الأمور التي تتعلق بهذا الباب: عندما نلاحظ سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، في مكة جعل العبادة في دار الأرقم، لماذا؟ يجتمع الناس، يتألفون، يتعاونون، يتحابون، فيكون هذا من أسباب وجود الأخوة الإيمانية، ووجود الترابط الاجتماعي عندهم، لما ذهب إلى المدينة، آخى بين المهاجرين والأنصار، مما يدل على أنه أراد تحقيق هذا المعنى الترابط الاجتماعي.

8

إذا نظرت إلى جميع العبادات، وجدت أن فيها جانبًا يلاحظ هذا المعنى، وهكذا في غيره من الأبواب، لابد أن يكون هناك لمساتٌ محققةٌ لمثل هذا المعنى.

- **ذكرتم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في رزقه»، فما معنى يُنسأ في أجله؟**

المراد بقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «يُنسأ له في أجله»، أي يؤخر له في الأجل، ويقدر أنه يزداد عمره، وزيادة العمر هذه لها أسبابٌ، مثلًا ذلك الذي يعتني ببدنه من جهة الصحة، ويتفقد حال البدن، في الغالب يطول عمره، ويكون من المعمرين، وهكذا صاحب الرياضة، وهكذا من يلاحظ بدنه بأنواع الملاحظة، فهذه أسبابٌ تؤدي إلى أن يكون عمر الإنسان أطول، وهكذا في صلة الرحم، فإنها تؤدي إلى زيادة عمر الإنسان.

- **ذكرتم أن من هذه الأسباب: شكر الإنسان إذا أحسن إليك، فإذا كان واحدًا يُحسن، ولا يريد أن يُشكر، فكيف نتعامل معه في هذا الموضوع؟**

هو لا يريد، هذا المحسن لا يريد أن يُشكر، وبالتالي هو يريد أن تكون نيته خالصةً لله -عزَّ وجلَّ-، فإذا أثنى عليه الخلق، وشكره من يُحسن إليه، فهذه نعمةٌ وزيادةٌ جاءت من دون أن يكون قاصدًا لها، وبالتالي لا تؤثر على نيته، ذلك المحسن إليه عندما شكر، يكون له أجرٌ وثوابٌ بسبب شكره، فهو مستفيدٌ من هذا الشكر، ليس المستفيد من الشكر حقيقة المحسن، المستفيد الأول هو المُحسن إليه، والمجتمع بحاجة إلى مثل هذا، من جهة أنه متى وجدت عيناتٌ تحسن إلى الناس، فيُثنى عليها، يكون هؤلاء المحسنون أمام الأعين، يقتدي بهم الآخرون، ويسيروا على طريقتهم، فهذا مما يحقق مقاصد شرعيةً طيبةً، ويحقق معاني توصل إلى المقصد الشرعي من وجود الترابط الاجتماعي.

← آثار الترابط الاجتماعي.

- الترابط الاجتماعي يترتب عليه آثارٌ حميدةٌ، منها:
 - (١) إزالة ما في النفوس من أمراض، كال اكتئاب، والهموم، والغموم، وسوء الظن، فهذه أمراضٌ ترد على الإنسان، تجعله لا يفكر في أموره، وتجعله مشغول البال، وما ذاك إلا أنه لم يُبعد عن هذه الأمور.
 - (٢) السعي في سد حاجة المحتاج، سواءً كان فقيرًا أو مديونًا، أو غير ذلك من أنواع الحاجة.
 - (٣) الحرص على وسائل التواصل الاجتماعي، وغيرها من أنواع أدوات التواصل، عندما تسمع عن شخصٍ بأن عمه، أو خاله لم يلاحظه، ولم يأت من سنواتٍ، حينئذٍ تعرف أن هذا مناقض للمقصد الشرعي.
 - (٤) استقرار النفوس، وعدم اضطرابها، فإنه متى كان الناس مترابطين، تفقد بعضهم بعضًا في هذا المعنى.
 - (٥) إمكانية القيام بالتعاون على أداء أعمالٍ صالحةٍ تعود على الناس بالنفع والخير.
- وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.